الجمهوريـة الجزائريـة الديموقراطية الشعبيـة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمـي

جامعـة محمد لمين دباغين سطيف 02

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية **قسم علم الاجتماع**

مطبوعـة بيداغوجيـة بعنـوان

محاضرات في مقيـاس:
الانثروبولوجيـة الاقتصاديـة

لطلبـة السنة الأولى ماستر تنظيم وعمل

إعداد الأستاذ:

علي حرودي

السنـة الجامعية: 2019/2018

السداسي: الأول

اسم الوحدة: وحـــدة التعليم الاستكشافيـــة

اسم المادة: أنثروبولوجيـــا اقتصاديـــة

الرصيد: 01

المعامل: 01

أهداف التعليم: ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابـــه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثـــة أسطر على الأكثر.

هـــدف هذه الوحدة إلى التعريف بالمفاهيم الأساسية التي تقوم عليها الانثروبولوجية الاقتصاديـــة توضيحها وتعميقها، وهي وحدة مكملة استكشافية، كما تهدف إلى تقديم وتفهم الاقتصاد على أنـــه ميدان للتمثلات والممارسات المتضمنة في العلاقات الاجتماعيـــة وعلاقات القوة والعلاقات الرمزيـــة.

المعارف المسبقة المطلوبـــة: وصف تفصيلي للمعرف المطلوبـــة والتي تمكن الطالب من مواصلة هـــذا التعليم، سطرين على الأكثر.

طريقـــة التقييم: مراقبـــة مستمرة، امتحان، .... إلخ.

امتحان كتابي.

محتـــوى المـــادة: إجباريـــة تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطالب.

01-مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاقتصاديـــة.

02-النشاط الاقتصادي والعلاقات الاجتماعيـــة: تطور النشاطات الاقتصاديـــة في مختلف المجتمعات القائمـــة على: القطف، الصيد، الرعي، الزراعـــة، الصناعية ... إلخ.

03-النشاط الاقتصادي كنظام لتبادل الحاجات المادية والغير ماديـــة.

04-السوق فضـــاء للتمثلات والممارسات.

05-مقارنـــة أنثروبولوجيا للإنتاج الاقتصادي وإعـــادة الإنتاج وتبادل السلع في المجتمعات.

06-المعرفـــة، العمليـــة (Savoir Faire):

- في المجتمع الريفي الجزائري: الممارسات الفلاحية واستغلال الفضـــاء الريفي.
- العمل الحرفي في المدن الجزائريـــة.
- المعرفـــة العملية في الصحراء الجزائرية (الفوقـــارة وأنظمـــة الري).

فهـــرس:

01-الانثروبولوجيـــا.....

02-مدخل للأنثروبولوجيا الاقتصاديـــة.....

03-الأنثروبولوجيا الاقتصاديـــة.....

04-الاقتصـــاد والنشاط الاقتصـــادي.....

أولا: ما هـــو الاقتصـــاد.....

ثانيـــا: النشـــاط الاقتصـــادي.....

- هدفـــــه.
- الافعـــال الاقتصاديـــة.
- الانتاج-التبادل- الاستهلاك.....

05-النشـــاط الاقتصـــادي كنظام تبادل: الهبـــة نموذجا.....

06-الســـوق: تمثـــلات وممارســـات.....

07-المجتمع الريفي في الجزائر.....

- المعارف الفلاحيـــة.

08-الحرف والعمل الحرفي.

09-الفوقـــارة: فن تقسيم المـــاء.

أولا: الانثروبولوجيـــا:

هي دراســـة شاملة ومقارنـــة للإنسانية بحيث تعتبر اكتشاف كلي للإنسان من النواحي البيولوجية والثقافيـــــة...

وتهتم الانثروبولوجيا بالبحث في الجذور والتغيرات التي طرأت على بيولوجيا الإنســـان وثقافته وتسعى لتحديد واستكشاف التشابهات والاختلافات الكامنة في هـــذا المجال[1].

ويمكن تقسيم فروع الانثروبولوجيـــا العامة إلى أربعـــة فروع هي: الانثروبولوجيا الاجتماعيـــة الثقافيـــة، الأركيولوجيـــا، البيولوجيـــا، واللغويـــة التي تأخذ كلها بعين الاعتبار المتغيرات في الزمن والفضـــاء، كما تتعرض أيضا لمســـار تكيف الأجهزة البشريـــة مع ضغوطات المحيط.

الأنثروبولوجيـــا الثقافيـــة تستكشف التنوع الثقافي الحاصل في الحاضر والماضي القريب، تعيد الاركيولوجيا بناء النماذج الثقافيـــة لسكان ما قبل التاريخ، كما توفر الانثروبولوجيا البيولوجيـــة معلومات توثيقيـــة متنوعة متعلقـــة بالأجسام المتحجرة "الوراثـــــــة".

النمو والتطور، استجابـــة الأجسام أما الانثروبولوجيـــا اللغويـــة فتهتم بعامل التنوع حيال اللغـــة، إذ تدرس كيف يتغير الخطاب حسب الوضعيات الاجتماعيـــة وعبر الزمن كذلك.

ويتوسع اهتمـــام الأنثروبولوجيـــا إضافـــة إلى المسائل البيولوجيـــة والاجتماعيـــة اللغوية إلى فروع عديدة أخرى مـــن العلم وحياة الإنســـان، بحيث تركز دراستها أيضـــا على الفن والموسيقى والآداب عبر مختلف الثقافـــات إلا أنها توجه اهتمامهـــا أكثر إلى أشكـــال التعبير عند الشعوب المشتركة وبأقل درجـــة نحو التصاميم الفنيـــة لـــذى النخب، وفي هـــذا العدد فإن الانثروبولوجيـــا تتعرض لقضايـــا الإبداع والإنتـــــاج في سياقهـــا الاجتماعـــي، بحيث نلاحظ بأن السيسيولوجيا تدرس المجتمع الحضري والصناعي في حين أن علمـــاء الأنثروبولوجيا يركزون على المجتمعـــــات الريفيـــة أو غير الصناعيـــــة.

كمـــا تجدر الإشـــارة أن الانثروبولوجيـــا، بعـــدان أساسيان، البعد الأكاديمي والبعد التطبيقي، يتمثل الجانب التطبيقي في استعمـــال المعطيات الانثروبولوجية والنظريات والمناهج في تحديد وحل المشكـــلات الاجتماعيـــة المعاصرة، وفي ذلك فهي تعتمد على المنهج العلمـــي المميز بصياغـــة

1 Conrad kottak: anthropology- the human diversity M C GRA WHILL éditions-15 éditions New York 2012, p 20.

أسئلـــة البحث، وكـــذا جمع واستعمـــال المعطيات لاختبار الفروض كما تجمع المعطيات للتمكن مـــن طرح واختبار عدد مـــن الفرضيات المتباينـــة.

الأنثروبولوجيـــة الفيزيقيـــة فتدرس الإنســـان في مظهره البيولوجي الصرف، فهي دراســـة بيولوجية للإنسان ولميزاته الجسديـــة، الزمر الدمويـــة، الوراثـــــة، الغـــذاء، الهيكل العظمي المقارن ....[1]

أمـــا الانثروبولوجية الاجتماعيـــة والثقافيـــة فهي تقيم علاقات وثيقـــة مع الانثروبولوجيا والسيسيولوجيا، وكمـــا هو متعارف عليـــه فإن علم الاجتماع هو العلم الـــذي يتعلق موضوعـــه بالمجتمعـــات الصناعيـــة في حين أن الانثرولوجيا تهتم بالمجتمعـــات المسمـــاة بالبدائيـــــة، كما أن الأنثروبولوجيا تعتمد على صياغـــة نظرياتهـــا ومقارنتهـــــا على المعطيات التي تزودهـــا بها الأثنوغرافيا، ونقصد بالانثروغرافيا، جمع المعلومات لـــدى السكان البعدين، إنـــــه عمل ميداني بمناهج التحقيق والوصف وتصنيف الأحداث.

ثانيـــا: مدخل الانثروبولوجيـــا الاقتصاديـــــة:

أعطـــى كل من بولايني ودالتون توجهـــا جديدا للانثروبولوجية الاقتصاديـــة من خلال تبيـــان بأن ميكانزمـــــات التبادل (رد، توزيع التجـــارة) هي في الواقع ذات نمط آخر في المجتمعـــات التقليديـــة، وأن قوانين السوق لا يمكن أن تطبق عليهـــا[2].

وهـــذا ما عبر عنـــه دالتون عندمـــا يقول "إن اقتصاد المجتمعات البدائيـــة يختلف عن اقتصـــاد المجتمعات الصناعيـــة بطبيعته وليس بكميتـــه، فغياب التكنولوجيا والمكننة والتنظيم في أسواق العملة ذات الوظيفـــة العامـــة مضاف إلى أن التبادلات الاقتصاديـــة هي غير منفصلة عن االلتزامات الاجتماعيـــة، وبالفعل علم غير كمي لا يمكن للنظريـــة الاقتصاديـــة الغربيـــة أن تطبق عليه بتحقيق أي فائـــدة"، وقدم ساليز مساهمة هامـــة بإبرازه أنـــه وفي جماعات إنسانية عديدة، العلاقات الاجتماعيـــة والتأويل الرمزي للعالم همـــا العاملان اللذان يفرضـــان حدودهما على الإنتاج.

وفي فرنســـا تحديدا تبني علمـــاء الانثروبولوجيـــا الذين يهتمـــون بالوقائع الاقتصاديـــة، في كثير مـــن الأحيان، المنظور المارسي، فقد اقترح كلود ميلاسو مخططـــا عامـــا لشرح الظواهر الاقتصاديـــة في المجتمعات التقليديـــة كان لـــه تأثير اكبرا في سنوات الستينات والسبعينـــات ومن

---

1 Sous la direction de Gilles ZUECHE, pascale Moulévrier Contributions a une sociologie des conduits économiques L'harmattan France 2006, p 47.

[2] Jean Paul collyn: éléments d'anthropologie social et culturelle- 6éméedition- editions de l'université de Bruxelles Belgique 1998, p 126.

القرن الماضي فهو يتجاوز الإطار المونوغرافي ليهتم بالمبادلات بين الجهـــات على مستوى التشكيلات الدوليـــة ما قبل الاستعماريـــــة.

ومـــن جهتـــــه، أظهر ميشـــال جوديلـــه الطابع النسبي لمفهـــوم العقلانيـــة الاقتصاديـــة مقدمـــا نظرة عامـــة عـــن مختلف نظريات الانثروبولوجيـــا الاقتصاديـــة كما قـــام بتحليل علاقات الهيمنـــة في مجتمع ذو طبقات ومد جسر بين الانثروبولوجيـــا والتاريخ، وأخيرا حاول إدماج الفكر الرمزي في التحليل الماركسي.

أما الأبحاث التي استمرت بعد ذلك، سمحت دون شك، بتسجيل خطوة إضافيـــة في شرح العلاقات القائمـــــة بين التبادل والتحالف والسلطـــة في حين أن الاستعمـــال المكثف لعبـــارة "الهبـــــة" بدا وكأنـــه مزيف لأن الخدمات والتبادلات والهيئـــات لا يمكن تفسيرهـــا بمعزل عن استراتيجيات الفرديـــة وعن الأنظمـــة الاجتماعيـــة التي تحددهـــا.

في هـــذا المجال وفي غيره، تميز أغلبيـــة الباحثين عـــن أعمـــــال الفني ستراوس، بتركيز اهتمامهم أكثر على المنطق الاجتماعي فيه على استغـــلال التفكير الإنساني ويتخذ عالم الاجتمـــاع الجزائري على الكثير مـــن كتاب عالم الانثروبولوجيا النمســـاوي الشهير كارل بولايني الموسوم بـــــ "التحول الكبيـــر" نقطـــة انطلاق لمـــا يعتبره انقلابـــا في آفـــاق تحليل الرأسماليـــــة من حيث شروط ميلادهـــا وتطويرهـــا[1]

ويقول بأنـــه لكي تسارع خطواتهـــا، تمثلت عمليـــة عصرنـــة نمط الإنتاج الرأسمالي في تحرير المنطق الداخلي لاستغلال العلاقـــات الاجتماعيـــة، قديمـــة أو حديثـــة وكذا السلوكات المعتـــــادة، قانونيـــة، دينيـــة أو سياسية بصورة ما تطورها الطبيعي.

فقد كان همهـــا الأساسي هو البحث عن المصلحـــة التي ترافقت مع التركيز على الغريزة الأولى للإنســـان أي أنانيته مثلما أشار إليـــه الفلاسفـــة والاقتصاديين الانجليز بعد ستيوارت ميل وتدريجيا، هـــذا النمط الجديد للإنتاج عـــن مجتمع وعـــن أشكال التنظيم المتنوعـــة والمختلفـــة التي أوجدتها لتعديلها، فالأزمـــة الحاليـــة، تسجل لحظة تاريخيـــة هامـــة على اعتبار أنهـــا تختم مرحلـــة رأسماليـــة غير مسبوقـــة منذ بدايتهـــا الأولى مع الثورات الصناعيـــة للقرن 19 بالنسبـــة للمرحلـــة الحاليـــة وانتصارهـــا الواضح على ما كان لمدة نصف قرن "أناهـــــا الأعلـــى" أي التجربـــــة المجهضـــة سريعـــا المتمثلـــة في الاشتراكيـــة السوفياتيـــة، هـــذه الأزمـــة هي أزمـــة دقيقـــة وفي

[1] Ali el Kenz: des événements dans l'histoire- chronigues 2008-2010 éditions Dahleb- Algeria 2010, p 139.

وقتهـــا لأنها ترجع للنظام حد ذاتـــه، وبالتالي فإن بداخلـــه يجب البحث عن أسباب الكارثـــة ولما لا تجاوزها بواسطـــة التفكير.

ثالثـــا: الانثروبولوجيـــا الاقتصاديـــة: حقل يهتم بدراســـة العلاقات الاجتماعيـــة التي يقيمهـــا الأفراد أو الجماعـــات فيما بينهم بخصوص الأشيـــاء أي المظاهر الماديـــة لهـــذه العلاقات التي يمكن أن تحمل أشكالا متنوعـــة الطبقية سياســـة وجدانيـــة جماليـــة عسكريـــة أو اقتصاديـــــة.

كما تدرس العلاقـــات الاجتماعيـــة من خلال تدفق الموارد واستعمالاتها وتبحث عـــن تنوير للخيارات الاقتصاديـــة (منح الاعتمـــادات) آخذة في عين الاعتبـــار محدداتها القابلـــة للملاحظـــة وليس انطلاقا مـــن محددات سلوكية فقط نجد أن السلوكات الاقتصاديـــة قد تتميز بمحددات غير اقتصاديـــة أو خارجـــة عـــن هـــذا المجـــال وفيها على سبيل المثـــال المعتقدات والخرافة، والتحديد الخاص للثروة وعلاقـــات القرابـــة والهبات والعطايـــا وغيرهـــا.

فالهبـــة أو الدين الذي يفلت عـــن التحليل الاقتصادي تصبح مواضيع دراســـة في الانثروبولوجيـــا الاقتصاديـــة متعلقة بالموارد الماليـــة وهي مواضيع واخرى على شاكلتهـــا، يعتبرها علم الاقتصاد خارجة عـــن مجال الاقتصاد وبالنسبـــة للأنثروبولوجيا فإنهـــا مثيرة لجملـــة من الأسئلـــة فيهـــا: مـــن يعطي مـــاذا ولمن؟ لمـــاذا الموارد الممنوحة تختص بهـــذه وليس بموارد أخرى؟ ما هي العلاقـــة بين مستوى المداخيل وحجم الموارد الممنوحـــة وتكلفـــة البنـــاء إلخ....

وهنا سنلاحظ بأنـــه وفي الواقع هناك عدة عقلانيـــات وليس عقلانيـــة واحدة وسنكتشف بأن ظاهـــرة الندرة هي فضل اجتماعي وليست فعل طبيعي، كمـــا سنرى بأنـــه في أمكنـــة متعددة يؤطر نظام القرابـــة مجموع العلاقات الاقتصاديـــــة، بحيث أن الاقتصـــاد ينطلق مـــن تحديد مسبق للعقلانيـــة، أما الأنثروبولوجيـــا فتحاول تفكيك العقلانيـــة والوقوف عنـــد السلوكات الملاحظـــة ويمكن أن تكون مختلفـــة عـــن الانسان الاقتصـــادي.

كلمـــــة اقتصـــــاد économie بالفرنسيـــة، تحلينـــا إلى عبارتين اغريقيتين oikos تعني البيت، الوسط المحيط nomos ومعناهـــــا قانون تنظيم قاعـــــدة وضع نسبـــــة الحاجات وندرة المنافع، الحاجـــة هي نقص، شعور بالحرمـــان مرفوق بالرغبـــــة او ضرورة لإزالتـــــه.

الحـــاجات نسبيـــة، بحيث أن إشباعهـــــا يختلف من مجتمع إلى آخر وداخل المجتمع الواحد، وذلك حسب المكانـــة الاجتماعيـــــة للفرد.

ومع ذلك نلاحظ تمييز بين أربعـــة أنواع مـــن الحاجـــات:

- الحاجـــات الأساسيـــــة أو الفزيولوجيـــــة.

- الحاجـــات الثانويـــة أو الحضاريـــــة.
- الحـــاجات الفرديـــــة.
- الحاجـــات الجماعيـــــة.

المنافع والخدمـــات تسمح بالاستجابـــة للرغبـــة الناتجـــة عن الحاجة، وهنا نميز بين المنافع الحرة لأنهـــا موجودة بوفرة وبين المنافع الاقتصاديـــــة أو النادرة.

تعريف الاقتصـــاد: هو العلم الذي يدرس كيفيـــة استعمـــال الموارد النادرة لأجل تلبيـــة حاجات الأفراد الموجودين في مجتمع معني، وككل علم تستعمل العلوم الاقتصاديـــــة منهجيـــا يقوم على الملاحظـــة والمنطق، وهي تتوفر على أدوات تحليل تسهيل عمليـــة الوصف وتصنيف الظواهر التي تنتمي إلى مجالهـــــا[1].

فالعلوم الاقتصاديـــــة تدرس النشاط الإنساني المطبق على إشبـــاع الحاجات المختلفـــة، هـــا المجال هو الاي يبرز ضمـــن النشاط الإنساني عندمـــا يطبق على تلبيـــة حاجـــات الغـــذاء، الشراب، اللباس، السكن، النظافـــة، العلاج، النقل، الاتصـــال، الثقافـــة، الترفيـــه، الخدمات المتنوعـــــة أو عندمـــا تتجه نحو مضاعفـــة الثروة والدفاع عنهـــا.

وتجتهد العلوم الاقتصاديـــة، بعد صياغـــة مفاهيم عامـــة، على شرح الظواهر بتعميم وبنـــاء نظريات وإن أمكن اقتراح قوانين عامـــــة.

وعليـــه فإن النشاط الاقتصـــادي يتمثل في أفعـــال الإنتاج، الاستهلاك والتبادل بمساعـــدة العملـــة، ويتركز موضوع هـــذه العلوم حول:

الملاحظـــــة: أي ملاحظـــة الأفراد والجماعـــات في نشاطهم الاقتصادي، وهو ما يعنـــي:

01- عندمـــــا يقومون بفعل إنتاج السلع والخدمات التي تقدمها الطبيعة بصفة عفوية ومجانيـــة للإنســـان.

02- عندمـــا يقومون بتبادل هـــذه السلع والخدمات مقابل منتجات أخرى بفضل العملـــــة.

03- عندمـــا يستهلكونهـــــا لأجل تلبيـــة حاجاتهم أو رغباتهم.

04- عندمـــا يحتفظون بهـــذه المنتجـــات لاستعمالهـــا كأدوات ووسائل إنتاج وسلع وخدمات جديدة.

- تحليل الآليـــات التي تسمح لهـــذا النشاط بالبروز.
- البحث عـــن الوسائل التي تتعلق بتوجيهـــه ضمـــن التوزان.

---

[1] Guillaume lara voire: les clés de l'économie: 2éme éditions- le genie des glaciers paris 2007; p 13.

النشاط الاقتصـــادي: هو مجموع الأفعال التي يقوم بهـــا الفاعلون الاقتصاديون بغرض ضمـــان تلبيـــة حاجياتهم ذات الأبعـــاد الفيزيولوجية والبسيكولوجيـــة والاجتماعيـــة[1].

هدف النشاط الاقتصـــادي: لفهم هـــذا النشاط يجب ربطـــه بالحاجات، فالكائنـــات الحيـــة لا تتوفر على مجموع العناصر الضروريـــة لوجودهـــا ونموهـــا، وبالتالي فإنهـــا تبحث وجوبا في المحيط الخارجي أو الطبيعـــة، عن هذه العناصر الأساسيـــة، وهـــكذا نجد أن حاجات الإنســـان الأقل نموا هي محدودة نسبيـــا، كما ند تلك المتعلقـــة بالحيوان أقل تنوعـــا منها عند الإنســـان الذي يكشف مع تقدمـــه حاجات جديدة.

الإنســـان يتجـــه إذن بجهوده إلى مكافحـــة الندرة التي تتعارض مع تلبيـــة حاجاتـــه، فمشكلـــة أي فرد هي إشباع رغباتـــــه الاقتصاديـــة الناتجـــة عـــن الحاجة رغم ندرة المنتجات التي يتوفر عليهـــا هدف هو الكفاح، العمل للحصول على المنتوج أو الخدمـــة التي يرغبهـــا، فالجني الذي يتطلب جهـــدا، هو الفعل الاقتصـــادي الأول، الصيد البحري والري، كـــان الفعل الاقتصـــادي للمجتمعـــات البدائيـــة قبل أن يتحول إلى ترفيـــه أو رياضـــة، وفي وقت لاحق الزراعـــة وتربيـــة الماشية شكلت الأفعـــال الإنتاجية الأولى، ومـــن هـــذا المنطلق نجد أن الإنســـان بين حتميـــان لا ثالث لهمـــــا:

- تعظيم اشباعاتـــــــه.
- تقليل تكاليفـــــــــه.

فكل النشاط الاقتصـــادي يستند على هـــذا الطموح التذي يمكن اعتبـــاره نقطة انطلاق علم الاقتصـــاد.

وهنا نقول بأن النشـــاط الاقتصـــادي هو نتاج إرادة الأفراد في إشبـــاع حاجاتهم الفيزيولوجيـــة والنفسيـــة برغم ندرة تكلفـــة السلع والخدمات المقدمـــة عـــن طريق الإنتاج، فهـــذا النشاط هو تتالي لمجموعـــة من الخيارات تبرز في إطـــار ثلاثـــة قوانين ضروريـــــة:

- قانـــون تضاؤل كثافـــة كل واحـــدة مـــن الحاجـــات التي لا عد لهـــا إلى نقطـــة التشبع.
- قانـــون تعويض الحاجـــات فيمـــا بينهـــا.
- قانـــون تكامل الحـــاجات المختلفـــة.

كمـــا أن النشـــاط الاقتصادي يغطي عدد معين من الأفعـــال الملموســـة (إنتاج، تبادل، استعمـــال)، وهو تجسد من قبل فاعلين الذين فرديا أو جماعيا، يتحـــدون أو يتعارضون لتحقيق أهدافهم.

---

[1] Guillaume lara voire: opcit p 15.

الأفعـــال الاقتصاديـــة: تتمثل في إنتاج سلع أو خدمـــات لا تصرحهـــا الطبيعـــة بعفويـــة، في خدمـــة الإنسان وتبادلهـــا تبعـــا لنفعهـــا وقيمتهـــا، بوجود العملـــة أو بدونهـــا، واستهلاكهـــا أو الامتناع عـــن ذلك الإنســـان وتبادلها تبعـــا لنفعها وقيمتهـــا، بوجود العملـــة أو بدونهـــا واستهلاكهـــا أو الامتنـــاع عـــن ذلك.

01- **الإنتـــــاج:** إنـــه الفعل المتمثل في وضع تحت خدمـــة الإنســـان السلع المرغوبـــة أو الخدمـــات المطلوبـــة من طرف المشترين أو المستعملين.

فالإنتـــــاج يعني خلق منافع اقتصاديـــة جديدة.

أمـــا وسائل الإنتـــاج فهي العمل والرأسمـــال، فالقيام بفعل الإنتاج بما يتطلبـــه من جهد، وتضحيـــة وتكلفـــة يجب توفير عدد مـــن الوسائل أو العوامل، عوامل الإنتـــاج هـــذه هي العمل والرأسمال.

العمـــل: المسعـــى الأول لأي فرد مفروض عليـــه ضمـــان معاشـــــه، هو البحث في الوسط المحيط عـــن عناصر غذائـــه وحمايتـــه، فالإنتاجيـــة مرهونـــة بالتنظيم والتخصص (تقسيم العمل).

ويتقدم العمل في شكل مظاهر مختلفـــة، يدوي وهو ضروري لأن اليدين همـــا الأدوات الطبيعيـــة للإنســـان فهما صانعتـــا الأدوات الأكثر قوة المؤديـــة لقوة محركـــة عاليـــة: دافع الأحجار؟؟؟ المحرك، البطاريـــة الذريـــــة ... العمل القيـــادي ثانيـــان يتوجب بمجرد تعويض العمل الجماعي للعمل المعزول، ثم عمل الاختراع الـــذي يعتمد بامتياز على الذكـــاء وهو مصدر كل الفتوحـــات التقنيـــة والعمليـــة كما يسمح بإعطـــــاء عبقريـــة الأيدي واكتشاف أدوات جديدة ومناهج عمل جديدة.

الرأسمـــال: الإنســـان الذي اكتشف من خلال عملـــه، وصنع أدوات جديدة بإمكانـــه مراكماتها قصد القيام بصناعـــات جديدة، العربـــة أو الجرار الفلاحي يستخدم لأكثر مـــن هم؟؟؟ والمطرقـــة لأكثر مـــن مسمـــار، حقيقـــة أنـــه وخلال صناعـــة المطرقة أو الجرار لم يكن ممكنـــا العمل لأجل الاستهلاك لكن وبمجرد اكتساب الأداة فسيسمح بعد ذلك بصناعـــة منتجـــات الاستهلاك.

فالتراكم العقلاني للأدوات يسمح بالرفع مـــن الحج اللاحق للمنتجـــات القابلـــة للاستهلاك، هـــذه الأدوات تشكل رأسمـــال الإنتاج، تراكم الرأسمـــال يعني تشجيع نمو الاستهلاك والاشباعات اللاحقـــة.

فالرأسمال يمكن تعريفـــه بأنـــه أداة إنتـــــاج ثروة تسمح بالحصول على منتج جديد وأخيرا دخلا، الرأس المالي يتوفر على هـــذه الخاصيـــة: الدخل المحصل عليـــه هو الفائدة التي يقدمهـــا عندما يقرض للغير.

02- **التبـــــــادل:** التبادل هــو الفعل الــذي يضع في علاقــة المنتج الــذي يعرض، والمستهلك الذي يطلب بين هذين الطرفين قد يوج وسطــاء (تجار جملــة، نصف جملــة، تفصيل)، يضمنون توزيع المنتجــات.

ويتحقق ســواء عــن طريق المقايضــة أو بواسطة العملــة التي تعبر عــن السعر أو قيمــة التبادل.

التموين بسلعة أو خدمة يؤدي إلى عرض من نفس القيمــة وإلا فإن الأمر يتعلق بهبة هذا المقابل يمكن أن يقدم عينــا وهو المقايضــة، إلا أن هــذه المقايضــة المتمثلــة في تبادل فائض بفائض، هي عمليــة ليست بالسهلــة فقد تبنى الإنسان سريعــا نطاقا آخرا يتمثل في تبادل فوائض مقابل العملــة ثم هــذه العملــة مقابل منتجــات مرغوبـــة.

التبــادل سيؤدي إلى إنشــاء سوق بــه كميات من المنافع كلفت جهدا وكميــات في الإمكانيــات الإشباعيــة، تعرض وتطلب بسعر محدد ســواء وفق العرض والطلب، أو بواسطــة القوة العموميــة (الدولــة) أو الخاصـــة (الباعـــة).

03- **الاستهلاك:** الاستهلاك هو فعل تدمير عــن طريق الاستعمــال، السلعــة أو الخدمــة المحصل عليهــا بإشبــاع الحاجات عندمــا يستهلك المنتج المنتوج الــذي قام هو بصناعتـــه نقول هناك استهلاك ذاتي عمليــة التدمير تتم بوتيرة متناسبــة مع المنتجــات، فبسبب صعوبــات قياس مدة الاستعمـــال نفضل عمومـــا ظاهــرة الاستهلاك لحظة تحويل المنتوج، وهنــا نميز بين منتجــات الاستهلاك الآنيــة والمنتجــات الدائمـــة (أثاث، أدوات منزليـــة ...).

فالاستهلاك يسمح بتلبيـــة في المقام الأول، الحاجــات الحيويــة وتلك التي تبرز كضرورات نفسيـــة، وفي مقابل ذلك لا يمكن أن نستهلك سوى في حدود الدخل المحصل عليه أو بفضل الاقتراض.

كما أن الاستهلاك يعتبر وظيفــة دخلية (دخل) كلما ارتفع الدخل، ارتفع الاستهلاك إلا أن الاقتصاديــن لاحظوا بأن تضاعف الدخل لا يترجم بارتفـــاع؟؟؟ للاستهلاك فعندما يرتفع الدخل فإن الجزء النسبي في الاستهلاك يتجــه إلى الأنحــاء لصالح الإدخار (أي امتنــاع عــن الاستهلاك) الــذي يرتفع تناسبيــا بحسب الدخل.

الاستهلاك يضمـــن دخل المنتج، فالفعل السلبي بعـــدم الاستهلاك بمجموع الدخل أي الادخـــار سيؤدي إلى تخفيض مداخيل المنتج إلا في حالـــــة عبر الإيداع والاستثمـــــار، تدفق الدخل لا يعود أبدا أو بدرجـــة أقل سريعـــا نحو الإنتـــــاج بمـــا يضمـــن التوازن.

السوق: تمثلات وممارســـــات:

السوق حسب دونالدبوتـــار هو العينـــة الممثلـــة لمجتمع مـــا، ليعبر بذلك عـــن ثقافتـــه الماديـــة ونظام قيمـــه في مسار دينامي مؤسس بالدول المبدع للتاجر التذي يدخل منتوجات جديدة[1].

فالسوق أبعد من أن يكون ميكروكوزم يلخص العالم الذي يحيط بـــه، بل هو وقياســـا بوظيفتـــه يمثل الوسيط بين مختلف مكوناتـــــــه، ففي البازار تتحلل إلى حد كبير كل التعارضـــات بين المظاهر المختلفـــة والمتناقضـــة لمجتمع مـــــا: تعارضـــات وتناقضـــات بين الاقتصاد القروي والتبادلات النقديـــة بين الطريق والمنعرج بين عالم الرجـــال وعالم النســـاء بين الأعمـــال والدين، بين العمل ورأســـمـــال، بي سكان الريف وسكان المدينـــة، بين الفرد والسلطة، بين الحياة الحليـــة والبلدان البعيدة، أن كل ذلك يفسر المكانـــة المركزيـــة للبازار وقوتـــه على الاندماج في المجال الريفي يعتبر فضـــاء تجاريـــا، حيث أن أغلب الأسواق موجودة في قرى ومداشير مندمجة في شبكة الأسواق الأسبوعيـــة، بحيث أننـــا نلاحظ أن الكثير من التجمعات السكانيـــة ارتبط اسمهـــا بهذه المواعيد، فنجد سوق الأحد، سوق الاثنين، وغيرهـــــا.

وبهـــذا السوق يرمز وبصورة مثاليـــة مثلمـــا هي في الوظيفـــة الأساسيـــة للمدينـــة، إلى كونـــه فضـــاء للوساطة الثقافيـــة بين مختلف مستويات المحلي والعالمي.

ويعرف تاريخيـــا، كفضـــاء جغرافي واجتماعي، أين تتسم التبادلات بنوع من الانتظام ويخضع لعدد معين مـــن القواعد ســـواء استفاد أو لم يستفيد مـــن عقاب مؤسســـة سياسيـــة ومـــن منظور آخر فإن الدولـــة ليست هي مخترعـــة السوق[2].

النشـــاط الاقتصـــادي كنظـــام تبـــادل: الهبـــة نموذجـــا:

طبيعيـــا لأجل استكشاف هـــذا الموضوع، يجب التموقع في تاريخ الأنثروبولوجيـــا في حد ذاتهـــا، حيث تتم احالتنا مباشرة إلى إحـــدى اللحظات الكبيرة لهـــذا التاريخ وإلى نص لا مناص منـــه.

---

[1] Jean luc aruand (sous ladir): l'urbaic dans le monde musulman de méditerranée- Editions IRMC tunis 2014, p 83.

[2] Sous la direction de Gilles la ZUECHES pascale Moulévrier contribution a une sociologie des conduits économiques le harmattan France 2006.

أنـــه "محاولـــــة حول الهبـــة" لمارسل موس الصادر في سنـــة 1921[1].

فقد أعطت قبائل لبارويـــا المثال على مجتمع مستمر في ممارســـة الهبـــة والهبات المضادة مـــن النســـاء مثلا، ولكن يجهل البوتلاش أن مجتمع ينتج شبـــه "عملـــة سلعـــة" متمثلـــة في الملح يقاضيه مع القبائل المجاورة لأجل الحصول على الأدوات الأسلحـــة، ومنافع أخرى يقوم بإنتاجهـــا إلا أن الملح يكن يستعمل كعملـــة داخل البارويـــا بل كان ينتقل بينهم كهبـــة، ولكن هاتـــــه القبائل التي تكن احترامـــا كبيرا للأشيـــاء المقدســـة، كانت تستعمل في احتفالاتها التدريبيـــة، الأطفال الذين تقدمهم كهبات الهبـــة لأسلافهم، كهبات لا تقدمهم لأنـــاس آخرين، ففي مرحلـــة تتأكد فيـــه عبر العالم كله، فكرة كلش شيء قابل للبيع حسب عنوان كتاب روبيرت كوتنر، سيصبح مـــن العاجل في ضـــوء التاريخ والأعمـــال الأنثروبولوجية، إعـــادة صياغة المكانة التي تحتلها العلاقات غير التجارية في مجتمعات السوق وبالبحث ما ذا كانت بعض الوقائع الضروريـــة للسير الحسن للمجتمعـــات لا تقع خارج السوق مدعومـــة للبقـــــاء.

الهبـــــة 70:

مـــاذا تعني الهبـــة 70 عند موس أهو فعل يقيم علاقـــة مزدوجـــة بين من يعطي وبين مـــن يقبل بين الواهب وقابل الهبـــة، فعل العطـــاء يعني تقاسم طوعي ما نملكـــه أو ما نحن عليـــه.

هبـــة بالقوة لا تعني هبـــة، فالهبـــة الطوعيـــة تقرب بين مـــن أعطـــى ومن استقبل ولكن في نفس الوقت الهبـــة تختلف عند مـــن قبلها، دينـــا وواجبات إذن الهبـــة تنتج شيء من اثنين في نفس الوقت، تقرب بنفس الصفـــة التي تنشئ فيهـــا مسافة بين الطرفين، فهي تقيم علاقـــة تناظريـــة، تراتبيـــة بين ذلك الذي يعطي وذلك الذي يستقبل.

ومنذ الوهلـــة الأولى وضع موس مبدأ تحليليـــا مفاده بأن الهبـــة ليست فعلا مـــن شأنـــه أن يدرس بصورة معزولـــة، ولكن يعد جـــزاء من مجموع علاقات تنشأ بين الأفراد والجماعـــــات جراء تسلسل ثلاث واجبـــات: واجب العطـــاء أولا ثم القبول بالهبـــة ثانيـــا، والعطـــاء من جهتـــه عندمـــا نقبل بها ثالثـــا.

وحسب موس، نحن مجبرون على الهبـــة لأن العطـــاء يجبرنـــا على ذلك وأننـــا مجبرون مع القبول لأن رفض الهبـــة يعني الخشيـــة من الدخول في صراع مع ذلك الـــذي يقدم الهبة، ولكن عندما

[1] Maurice godolier: au fondements des société humaines- ce que nous apparend l'anthropologie albin Micgel-France 2008, p 68.

يتعرض للالتزام الثالث أي الرد والقيـــام بالهبـــة بدوره، يقترح موس شروحـــات من نمط آخر تركز هـــذه المرة على أسباب إيديولوجية وهي المعتقدات الخرافيـــة الدينيـــــة.

المجتمع الريفي مـــن الاستقلاليـــة إلى التبعيـــة: معالم ودلالات[1]

01- **المجتمع الريفي في تدبير نفســـه بنفســـه:** لقد اتسم المجتمع الريفي قبل الفترة الاستعماريـــة حسب الدراسات التاريخيـــة ببنيـــة اجتماعيـــة واقتصاديـــة تمكنه مـــن إعـــادة إنتاج نفســـه بصورة مستقلة عـــن كل تدخل خارجي، ومـــن أجل ذلك وضع لنفســـه تنظيمـــا خاصـــا يكفل لـــه الاستمراريـــة في الحياة الاقتصاديـــــة.

فعلى مستوى البنيـــة الاقتصاديـــة كان التنظيم الإنتاجي يتسم بطابع التداخل بين النشاط الزراعي التوسيعي والنشـــاط الرعوي وحرص على إيجـــاد نوع مـــن التوازن بينهما غير ان هذا التوازن لم يكن يتسم بديمومـــة تضمن لـــه الاستقرار بسبب التوتر القائم بين محدوديـــة وطبيعـــة الإطار الفيزيقي والجغرافي والمناخي وكثافـــة السكان الذين يعيشون في نفس الإقليم مضافـــا إليـــه ضعف هزالـــة الأدوات المستعملة في تسخير معطيات الطبيعـــة لحاجياتهم ومتطلبات وجودهم المـــادي، ممـــا جعل الريفيون يلجؤون إلى أنشطـــة تكميليـــة مثل استغلال الغابـــات والصناعات الحرفية وغرس الأشجـــار المثمرة وإنتاج الخضروات والفواكـــه.

إن المنطق الداخل للمجتمع الريفي كـــان إذن يرتكز على مبدأ التكليف والتوازن مع البيئـــة الجغرافيـــة والمناخيـــة والطبيعيـــة.

إن نظـــام الملكيـــة كان قائمـــا على الملكيـــة العائليـــة غير القابلة لانقســـام في ارتباطها بالنظـــام القبلي الذي كان سائـــدا في ذلك العهد وهـــذا نظام يخضع لقواعـــد الأعراف المتأصلـــة في المجتمع الريفي ويرمي إلى حمايتهـــا بواسطة مبدأ الشفعـــة من كل ممارســـة تؤدي إلى إخراج الملكيـــة بواسطـــة الشـــراء أو الرهن عـــن نطاق الجماعات الريفيـــة غير أن متوسط هـــذه الملكيات حسب بعض الدراسات لم يكن تجاوز 13 هكتـــــار.

وعلى الصعيد الاجتماعـــي، كان المجتمع الريفي يتسم بالطابع القبلي منذ عهود بعيـــدة.

وتتكون التركيبـــة القبليـــة من مجموعـــة من الوحدات الاجتماعيـــة بدءا بالعائلـــة الكبيرة وانتهـــــاء بالفرق، وهي جماعـــة تنحدر من جد واحد، ويصطلح هـــذا المجتمع بضبط الحياة

---

1 مصطفى مرضي المجتمع الريفي، انسانيـــات: المجلـــة الجزائريـــة في الأنثروبولوجية الاجتماعيـــة والثقافيـــة، الجزائر، عدد 07 جانفي 1999.

الاجتماعيـــة والاقتصاديـــة والسياسيـــة والعسكريـــة التي من ضمـــان إعـــادة إنتاج ظروف وجوده الماديـــة فيها والمعنويـــة بعيدا عن كل تدخل أو إكراه خارجي، ويقوم المجتمع الريفي بتركيبتـــه القبليـــة بتدبير نفســـه على الصعيد الاقتصـــادي عـــن طريق تحديد طرق وأشكـــال الانتفاع بالأرض وإنشـــاء مخازن للغلات والحبوب وإقامـــة علاقات تبادل تجاري مع قبائل أخرى (حبوب، ثمور، ماشيـــة، صوف ..)، لتتحصل كل قبيلـــة على ما ينقصهـــا عند غيرهـــا، وعلى الصعيد الاجتماعي والسياسي تقوم الجماعـــــة الريفيـــة بإيجاد ميكانيزمـــات وآليات للتضامن لفض النزاعات وإيجـــاد حلول للخلافات الناشئـــة بينها في إطار القيم والمعايير المتعارف عليها والمستنبطـــة والراســـة في بنيتها الذهنيـــة، مع اللجوء إلى أشكال المساعدات المتبادلـــة في ميدان الأشغـــال الكبرى مـــن إقامـــة منشآت مائيـــة وعمليات الحرث والبذور والحصـــاد وجميع الأعمـــال الأخرى التي تفوق طاقـــة كل عائلـــة بمفردهـــا.

02- **تدخل الدولـــــة في المجتمع الريفي:**

أ- **المجتمع الريفي والحكم التركيبي:** إن تدخل الحكم التركي في المجتمع الريفي يمكن اختصـــاره في بعض المعالم الدالـــة على طبيعـــة العلاقـــة التي كانت سائدة بهـــذا المجتمع، يمكن تبين تدخل الدولة في هـــذه الفترة التي استمرت أكثر مـــن ثلاث قرون على عـــدة مستويـــــات:

1- **التأطير الإداري للمجتمع الريفي:** لقـــد جـــرى تقسيم الجزائر إلى مناطق تعرف باسم البايلك، فنجد شرقـــا بايلك قسنطينـــــة وفي الوسط التيطري والمديـــة، وغربـــا معسكر، وهـــذا بهدف مراقبـــة نشاطات السكان الريفيين.

2- **وعلى المستوى الاقتصـــادي،** لم تقم الدولـــة بإحداث أي تغييرات جوهريـــة على الخريطـــة الزراعيـــة في عمومهـــا بالكيفيـــة التي تخل بالتوازن الاقتصـــادي والاجتماعي للمجتمع الريفي، فقد كانت قاعدتها العقاريـــة المعروفـــة بأراضي البايلك، تفوض استغلالها لبعض القبائل مقابل خدماتهـــا وولائهـــا للسلطة، غير أن التدخل البارز تمثل بدون جدال في تحصيل الضرائب مـــن القبائل، فقد انقسمت القبائل حسب ولائهـــا وخضوعها للسلطـــة (كانت أصنـــاف).

3- **قبائل المخزن:** وهـــي القاعـــدة الاجتماعيـــة والسياسيـــة للسلطة وأداتهـــا في مراقبـــة الجماعات الريفيـــة وانشطتها الاقتصاديـــة عـــن طريق الإلزام القســـوي في دفع شتى أنواع

الضرائب: ضرائب على الغلات والمحاصيل (الجبري)، وضرائب على الماشيـــة، ضرائب على استغـــلال الأرض (الحكور)، وضرائب على خول السوق.

4-**قبائل خاضعـــة:** تدفع الضرائب للحاكم التركي ويبلغ عـــددها 104 قبيلـــة موزعة عبر المقاطعات الثلاث.

5-**وهناك أخيرا،** القبائل المتمرة على دفع الضرائب أو تدفعهـــا إلا ناذرا، وهي قبائل تسكن في المرتفعات الجبليـــة والمناطق السهبيـــة، ويصل عددهـــا إلى 200 قبيلـــة.

وبالموازاة مع أشكـــال الضرائب هـــذه كانت أشكال مـــن الاستغلال، تتمثل في تسخير قـــوي عاملـــة لخدمـــة أرضي البايلك وحاشيتـــــه.

كما عملت السلطة التركيـــة في تلك الفترة على تبني استراتيجيـــة إنشـــاء أسواق أسبوعيـــة في كل مكان يجري تنظيمهـــا بكيفيـــة تمكنها مـــن مراقبة القبائل المتمردة والمضطرة لدخول السوق لتبادل منتوجاتهـــا لفرض غرامات باهظـــة عليها، وهـــذا أمام عجز أجهزتها البيروقراطيـــة والعسكريـــة في السيطرة على هذه القبائل.

أمـــام هـــذه الأوضاع لم يبق الفلاحون مكتوفي الأيدي فقد قاموا بردات فعل متعددة الأشكـــال احتجاجـــا على الطابع المجحف للضرائب وزيادتهـــا المستمرة، وليس مـــن الصدفـــة أن تقسم الجزائر في تلك الفترة بين بلاد الترك وبلاد البارود.

وقـــد تجلت ردود أفعالهم في الأشكـــــال التاليـــــة:

- التضامـــن وإعـــادة تفعيل وتنشيط آليات المؤسســـات الدينيـــة المعاديـــة للسياســـة الجبائيـــة، ومـــن أبرز هـــذه المؤسســـات الزاويـــة التيجانيـــة 1780.
- تحويل طبيعـــة النشاطات الزراعيـــة واللجوء إلى تفضيل تربيـــة المواشي لسهولـــة سحبهـــا عـــن الأنظـــار وإخفائهـــــا عـــــن مراقبـــة الجهاز الجبائي.

ب- السياســـــة الكولونيا لية واستقلالية المجتمع الريفي:

أما في الفترة الكولونياليـــة فقد شهد المجتمع الريفي تغيرات هيكليـــة في أساسه المادي وبنيته الاجتماعيـــة عملت على تقليص هامش استقلاليته وحريته غبر ميكانزيمات متعددة إلى أشكال من التبعيـــة ويمكن على ضوء الدراسات السابقة تلمس جوانب التغيرات في المجالات التاليـــة:

01-في مجـــال البنية العقاريـــة ونظام الملكية: عملت السياسة الكولونيالية على ضرب القاعدة العقارية والزراعية عن طريق تغيير الطابع العرفي للملكية وإخضاعه لجملة من القوانين

الزراعيـــة (قانون سناتوس كونسولت، قانون ورانيـــة) وكان الهدف الاستراتيجي مـــن هذا التغيير تقليص القاعـــدة المادية للجماعات الريفيـــة وفي ذات الوقت إنشاء القاعدة الماديـــة للمجتمع الكولونيالي، وهـــذا بواسطة ميكانزمات إلغـــاء صفة عدم الانقسام التي كانت تتسم بهـــأ أراضي العرض والأراضي العائليـــة من أجل إخضاعها لعمليات المضاربـــة والمتاجرة بين الكولون والملاك الجزائريين، وبالتالي إضعاف مجموع العلاقات والروابط القبليـــة التي كانت تتأسس على الطابع العرشي والقبلي للملكيـــة الزراعيـــة.

02-تغيير في نظام المنتوجات الزراعية من منتجات غذائية قوتيه إلى منتجات تجارية موجهة للسوق، على مجموع الأراضي التي انتقلت إلى أيدي طبقة الكولون فأصبحت بذلك تخضع لمنطق الإنتاج والتبادل الرأسمالي.

03-تعميم العلاقات السلعيـــة والنقديـــة على نطاق واسع، وقد دشن ذلك بعد أن فرض دفع الضرائب للأجهزة الجبائيـــة نقدا وليس عينـــا ممـــا أدى بالفلاح إلى تسويق منتوجاتهم وإخضاعها للتبادل التجاري للحصول على النقود، وكان ذلك على حساب المحاصيل القوتيه التي تشكل الجانب الأساسي في إعادة إنتاجهـــا المادي، واستمرارية وجودهم الفيزيقي، ممـــا أدى بالتالي إلى عمليـــة تفقير على نطاق واسع للمجتمع الفلاحي.

04-كمـــا أن سياســـة المحتشدات أثنـــاء حرب التحرير الوطني والمتمثلة في ترحيل الفلاحين وعائلاتهم إلى معسكرات مراقبـــة عملت على قطعهم بيئتهم الطبيعيـــة وعلاقتهم بالأرض وتجريدهم مـــن صفة الفلاحين Déracinement.

وكان من أثر ذلك كله تغيير في خريطة الملكية الزراعية وظهور طبقات جديدة في المجتمع الريفي متمثلـــة بشكل أخص في فئة شبه بروليتارية وعمال زراعيين مأجورين وتغيير هيكلي يجسده طابع الثنائية الزراعيـــة: وجود قطاع المعمرين المتوفر على أحدث التجهيزات ويتعاطى إنتاجا رأسماليا موجها بشكل أساسي للتصدير الخارجي والجانبي وكتابع لـــه قطاع فلاحي تقليدي يتكون من صغار الفلاحين والفلاحين الفقراء والمعدمين وفئـــة قليلة من كبار الفلاحين الأغنياء، إن الاستنتاجات التي يمكن أن تبديها من زاويـــة إشكالياتها في ظل هذه التغيرات نجملها في النقاط التاليـــة:

01-إن انغراس العلاقات الكولونيالية التي في البنية الزراعيـــة عمل على ضرب القاعدة الزراعية التي كانت الأساس المادي للروابط القبليـــة والعائلية عن طريق فصل ثلاثي: فصل الفلاح عن وسائل إنتاجه (الأرض بشكل أساسي) وفصله عن إنتاجه بإخضاعه للسوق وميكانزيماته السلعيـــة والنقدية، وفصله عن بيئته الطبيعية.

02-إن العلاقات الرأسماليـــة الكولونيالية لن تقض تماما على العلاقات السابقة عليها فقد كان من مصلحتها بقاء قطاع زراعي تقليدي في أدوات ونظام زراعته وعلاقته الاجتماعية ليتحمل الجانب الهام من إعادة إنتاج قوة العمل التي كانت تعمل في المزارع الكولونيالية كيد عاملـــة أجيرة، مشكلا بذلك مخزونا احتياطيا لليد العاملة الرخيصة.

03-إن تحطيم البنيات القديمـــة وإن كان قد أدى إلى تقليص نفوذ وهيمنة علاقات القبليـــة والعائلية فإن لم يعمل في المقابل على إعدامها، بل أبقاها متعايشـــة معه، فإن أفراد العائلة اتخذوا من الهجرة الداخلية والخارجية منفذا ومتنفسا لتردي ظروف معيشتهم، بحثا عن موارد تمكنهم من مواصلة حياتهم في إطار العلاقات التقليدية وتماسكها، كما أن منظومـــة القيم والمعايير الخاصة بالمجتمع ألفي بقيت فاعلـــة في حياتهم الاجتماعية ومرجعا في تكيفهم أمام الأوضاع المستجدة والطارئـــة.

العمل الفلاحي وهويتـــه:

يجزم العديد من الباحثين اللامعين في المجال 1، بأن أول من اكتشف الفلاحين كان الباحث المعروف في الأنتوغرافيا روبيررادفيلد الذي أدهش زملائـــه في أمريكا عندما شرح لهم بأنه وجد في المكسيك فلاحين لم يكونوا أبدا يحملون سمـــات "البدئيين".

فقد كان لزامـــا التحقيق بأن الفلاحين المكسيكيين ورثة الفلاحين ما قبل الكولومبيين المتحضرين بفعل ممارسات الفلاحين الإسبانيين لم يكونوا في أي حـــال من الأحوال مشابهين للهوبز أو الشايان.

وكان من بين الخصائص التي تميز الهويـــة الفلاحية، حسب دفيلد، الحجم الضيق للمجموعة المحلية، فيمـــا كان يبحث عن ذلك عـــن السمات البنيوية لمجموعة ذات حجم ضيق في أغلبها مكتفية ذاتيا على مختلف المستويات ديمغرافيا، اقتصاديا وثقافيـــا مع اختلافاتها التراتبية الخاصة وتوحدها الثقافي ولكنها في نفس الوقت، منغمســـة في مجتمع أوسع يفرض عليهـــا قواعده وسلطته ويقتطع منها جزءا من ثرواتها.

وبين رادفيلد بأن المجتمعات ما قبل الصناعية لم تكن جميعها فلاحية، وقدم يمات لهويته الفلاحية، مناقضة عن سمات المجتمعات التي يسميها بالوحشية لأنها تكتفي ذاتيـــا كلية نفي حين أن الفلاحين هم مندمجون في مجتمع أوسع، مجتمع شامل، يخضعون لـــه بصورة مختلفة دون فقدان استقلاليتهم، وبعبـــارة واحدة مادام ليس هناك مدينة أو اقطاعية، فليس هناك فلاحين ولكن مجتمعات زراعيـــة أو بدائيـــة.

ويؤكد مندراس 2، بأن رادفيلد اكتشف خاصيـــة موضوعية جدا لأجل تحديد المجتمعات الفلاحية، دون حتى اللجوء إلى عمل الأرض لأن المجتمعات الزراعيـــة بنيت هي الأخرى على فلاحـــة الأرض، وهذا الاكتشاف كان له أثر عميق باعتباره أظهر بطلان المتصلات التي تعرقل وما زالت علم الاجتماع المتكرر المدشن من طرف تنوير والمسترجع من فريدمان (وسط طبيعي وسط تقني)، وكذا مـــن رادفيلد نفسه (فولكور، حضري)، والتي كان يستعملها كل علمـــاء الاجتماع في تلك الفترة بصورة مختلفة تحت مسمى "تقليديـــة"، "عصرية" في انتظار بروز مفهوم ما بعد العصرنـــة.

ومع ان التركيز كان أكثر على إبراز مفهوم الفلاح وشريحة الفلاحين عبر الحقب فإن العمل الفلاحي أو بالأحرى الفعل الإنتاجي في هـــذا النشاط لم يعرف تحديدا دقيقا ولم يشهد تركيزا واضحا لاستجلاء طبيعة هذا العمل، أفعاله تقنياته هويته المهنية التي هي كلها موضوع تساؤل بحيث أننا لا نعرف الكثير عـــ، العمل في الفلاحة واقع عمل الفلاحين من ناحيـــة الإكراهات التي يتعرض إليها والديناميكيات التي تميزه، ومـــن هذا المنطلق يبدو أن إقصـــاء العمل الفلاحي من النقاش والبحث هو أمر مجحف، في وقت يشهد فيه العالم اليوم تحديات كبيرة تخص البيئـــة والأمن الغذائي وهي تحديات على كل لا يمكن كسبها دون الفلاحين في المقام الأول، وبالتالي من الضروري إيلاء الاهتمام اللازم للعلاقة التي تقيمها هاتـــه الشريحة مع عملها الخاص وممارسات العمل على اعتبار أنه عمل يجند بشكل واسع البنيـــة العائلية، كما أنه مندرج بقوة في شبكات اجتماعية مثل شبكات المساعدة والدعم، وهنا نسجل بأن قليلـــة هي المهن التي تتميز بمثل هـــذا الاندماج بين الحياة في العمل وشروط الحياة فهو مربوط أكثر بمشروع حياة.

والواقع أنـــه حدث هناك انتقال في تحديد الهوية المهنية للفلاح وعمله بالنظر للتطورات والتحولات التي عرفها النشاط في حد ذاتـــه وكذا المرجعيات والتي إليها، فإذا كان علم الاجتماع نجح في وضع تعريف للفلاح أو الفلاحين من حيث أنه يرى بأن الفلاح 1 هو دائمـــا في وسط عائلـــة من المزارعين، تزرع قطعة أرض وتمثل بذلك وحدة اجتماعية أساسية للمجتمع القروي والزراعة عملهم الرئيسي الذي يقومون بـــه لسد احتياجاتهم المعيشيـــة، واعتبار الفلاحين أنهم فئـــة من الفلاحين البسطاء والمتوسطين الذين ينتجون في مصانع عائليـــة أي عن طريق استغلال القدرة على العمل لدى أفراد العائلة، فإنه في نفس الصدد، اعتبر بأن العمل يتم أساسا لتأمين المعيشة فقط، أي أنه لا يتم العمل في أي مجـــال غير الزراعة التي يتم فيها استخدام أدوات العمل التقليديـــة، ومنه فإن المنتجين الزراعيين يمثلون شريحة اجتماعية يوجد جميع أعضائها في نظام الإنتاج الزراعي على مستوى واحد، ولهم نفس العلاقة بوسائل الانتاج ويملكون نفس القيم والمصالح التي تختلف عـــن قيم ومصالح الفئات الاجتماعيـــة الأخرى.

وعلى العموم، يمكن القول بأن الوضع الحالي للفلاحة يبرز أكثر من خلال ثنائية بين الفلاحين المعتمدين على المنافسة والاحترافية والآخرين في الصعود من جهة، وبين أولئك الذين يعتمدون على المساعدة والدعم من جهة ثانية، وبالتالي إذا ارادوا أن يحافظوا على مهمتهم عليهم القيام بأنشطة متعددة، تعيد النظر في هذه المهنة وتعزز من هويتها وهوية المنتسبين إليها بغض النظر عن المنحى الذي تتخذه سواء من ذلك الذي يعتمد على المرجعية التقليدية أو العصرية المجددة أو ذلك الذي ينحو إلى النموذج القريب من المقاول الريفي أو الفلاحي.

معارف فلاحية أم معارف علمية:

لم تترك أحاسيس النظرة الاعتلائية للاستعمار المحضر، من مكانة لدراسة مركزة ومفصلة لأنظمة زراعة الأرض المبتكرة والمؤسسة من قبل كانوا يسمون بالسكان الأهالي، وغذا كان لهذا المستعمر من نزعة للمحافظة عليها، فإن ذلك لم يكن ليعطي قيمة لهذه الأنظمة أو يربطها بمصلحة مستقبلية، واالهم ما كان الغرض منه ضمان الغذاء لقوة العمل.

ودأب المستعمر في تعامله مع الأنظمة القائمة، على إعادة الاعتبار الكولنيالية والعصرنة الفلاحية المستوحاة عن أنماط الزراعة الانتاجية الممارسة في الميتروبول، فقد اعتبر بأن المجتمعات المحتلة، كما أن تنوع معارفها وممارستها كان مقتصرا على انسجام القديم والبدائي.

ومع ذلك جاز التذكير بأن الممارسات والمعارف المحلية عرفت اهتماما متناسبا، بحيث أضحت مواضيع البحث والدراسة على الرغم من أنها لم تتغلغل بنفس الكيفية ليتم أخذها بعين الاعتبار في عمليات التنمية فزوال هذه المعارف يسير جنيا إلى جنب مع إفقار الوسط الذي تشتغل داخله خاصة إذا كان هذا الوسط يشهد استغلالا لا يعتمد بشكل كبير على التخصص، إن زوال هذه المعارف[1] وافقار الأوساط المرتبطة بها هما مؤشرات أو أعراض تعبر عن أزمة المجتمعات الفلاحية في سياق التنمية.

وتتبع مبررات المقدمة في العديد من الأحيان لأجل التعبير على مزايا معارف المجتمعات الفلاحية من كونها هي نتاج تجربة طويلة للوسط، وأنها تمثل تكيفا ملائما إلى درجة عالية مع محيطها، إلا أننا عندما نتحدث عن تكييف المجتمعات مع محيطها فإننا نتناسى في الأوقات معينة خاصة في الماضي الأسطوري، العصر الذهبي للمعارف المتوارثة وللمجتمعات التقليدية وما هو الثمن الاجتماعي والإنساني لذلك التكيف، فالحل للأزمات العيش في الساحل لا يمكن فقط في الاستعمال الدقيق للنبات

[1] Herman tillman: saviors paysans et devolopement fayard paris 1983, p 23.

المتواجد، بحيث أن موجات المجاعة تنتهي بخسائر ديموغرافية معتبرة بتخفيض ملحوظ في مظاهر الاستعبـــاد لدى الجزء الأكبر من السكان المعوزين.

ملاحظـــة أخرى، يجدر الإشارة هنا كذلك، هو أن ليس هناك مجتمعات تقليديـــة وهذا يعني أن لا توجد مجتمعات جامدة وأخرى منكفئة على ذاتها تعيد الإنتاج بنفس الطريقة وليس هناك أيضا كما يحيل إليـــه المصطلح "التقليديـــة" من مجتمعات منسجمة موحدة تتماهى في معيار واحد، فالمجتمعات الفلاحية تتغير وتتحول وتبدع فهي بجلب من جيراها التقنيات، ولكن أيضـــا العادات والمؤسسات السياسيـــة، وذلك ليس بالريتم البطيء بالضرورة مثلمـــا يراد الحديث عنه، وإذا حصل أن وصفت هذه المجتمعات بأنها غير متحركة فإن ذلك راجع للنظرة التي تسلط عليهـــا والتي تقصي قبليا أي تساؤل عن تاريخها، كما يجع ذلك أيضا إلى سرعة الدراسات التي جعلت من الاستحالـــة حصر التغيرات الواقعة داخلها.

فالمجتمعات التقليدية لا توجد في الحقيقة، فمفهوم المجتمع التقليدي كما يقول بلانديه[1] نمط مضاد معادي للمجتمع الصناعي أكثر من أن يكون نمطا سيسيولوجيا، إضافة إلى هـــذا فإن اللجوء إلى مفهوم "التقليديـــة" يعبر أكثر على وجود مكان تواجد المجتمعات المحلية منه عن الخصائص التي تحكم طبيعتها الصلبة.

إن ما تختزل النقاشات في كثير من الأحيان في مقارنة بين معارف علمية ومعارف فلاحية هو في الواقع مواجهة بين الأنظمة الاجتماعية، فالمعارف سواء كانت علمية أو فلاحية هي نتاج التاريخ وضمن هذا السجل اجتماعي يجب أخذها بعين الاعتبار، فالمعارف المحلية ليس لها في وجود خارج العلاقات الاجتماعية التي اخذت فيها وخارج التراتبية الاجتماعية التي مورست خلالها، ومنه فإن المعارف الفلاحية خاضعة للحكم بنفس مقاربـــة معارف أي مجموعة اجتماعية، فكيف تقدم مجموعة هذه المواجهة إذن، هل هي مواجهة بسيطة بين العلم الغربي والمعارف المحلية؟ فإذا ما تم استعمال أطروحة ها برماس القائلـــة: بأن العقلانيـــة العلمية وبواسطة التقنية، تبدوا في العالم التكنوقراطي كحقيقة وعليها بالتالي أن تحكم كل الممارسات، فالعلم والتقنية هما اللذان يؤديان اليوم وظيفة اكساب الهيمنة شرعياتها، فهذه المواجهة قد لا تكون بالبساطة التي يمكن تصورها، فلها ديناميكيتها في تاريخ يؤدي إلى تحول في الفاعلين والي تعقد للوضعيات الأولية، كما أنه يمكن الإشارة بأن المعارف ليست معزولـــة فليس هناك نظام زراعي واحد في العالم لم يعرف تحولات جذريـــة بفعل إدماجه في

[1] Herman tillman, op, cite, p 24.

الاقتصاد العالمي، فالمعارف غير موجودة هكذا، فالمعارف هي دائمة في حالة مواجهة سواء كانت معارف حاملي التنمية أو معارف المجتمعات المحلية.

فالمعارف الفلاحية المستخرجة أساسا من الثقافـــة الكبرى هي إذن ليست متكيفة مع التنوع الكبير للإنتاج، فوضعيات الانتاج الفلاحي هي قبل كل شيء أقسام من الوضعيات الخاصة تتميز بالعلاقة مع ما هو حي أين نجد كل التقنيات ليست ممكنة بداهة، وفي مقابل ذلك فإن معرفة العمل هذه ليست هناك على المستوى التقني فقط، ولكن أيضا على مستوى العلاقات الاجتماعية.

الحرف والعمل الحرفي:

الحرف التقليدية منظومة عملية وثقافية، إنها طرائق وفنون لصناعات مختلفة، تنشأ عادة عن مثال القديم، وقد تنوعت أساليب الأداء عبر العصور تبعا لما يطرأ على المجتمع بعاداتـــه وتقاليده واحتياجاته من التغير والتحول.

ودراسة الحرف من وجهة نظر أنثروبولوجية مع الإطلالة التاريخية على بنية هذه الحرف تسهم في فهم طبيعة الحياة في مجتمعاتنا، ومـــن هنا تأتي أهمية معرفة طريقة الأداء لهذه الحرفة ومدى ازدهارها أو ضمورها وما هي التأثيرات التي تنتابها في المجتمع:

إن تحول أشكـــال المادة الأولية إلى سلع للاستخدام المنزلي، جاء في سياق الاقتصاد المنزلي القائم على الاكتفاء الذاتي تم تحول مع الزمن إلى سلعة للتبادل في مجال السوق.

وبرز الحرفي المتخصص أي حرفي القريـــة الذي يعمل في مشغل خاص وبأدوات عمل بسيطة لكي يلبي حاجات الجماعة التي ينتمي إليها، وتلا ذلك الحرفي المصنع الذي بدأ باستخدام أدوات أكثر تعقيدا وتسيير آلـــة في منشآت صناعيـــة، هنا العامل مأجور يعمل داخل مؤسسة حيث وسائل الأفعال منفصلة عن الفاعلين، يدير آلـــة فقط إذ يقوم بعمل جزئي أو كلي خارج نطاق الإبداع الشخصي.

وتعتبر الحرف التقليديـــة موروثات شعبية سيطر عليها طابع الزوال لعدم تدوين عناصرها أو تسجيلها وندرة الأبحاث التي تتناولها، فهذه الحرف لا تزال تختزن موروثـــا ثقافيا من الناحيـــة العملية والنظرية، إذ لوحظ أن الحرفي الأول بدأ باستعمال لقطع الأغصان ويشذ بها ثم يصقل الحجارة والعظام ليصنع أدوات تسهل عليـــه سبل العيش، وهكذا فإن الإنسان منذ وجوده هو حرفي يحاول دائما اكتشاف أو صنع أدوات تساعده في حياتـــه.

المعرفـــة العلمية في الصحراء الجزائرية (الفوقارة نموذجا):

تعريف الفوقارة: حسب نذير معروف:[1]

إقامة الفوقارة هو بالضرورة عمل جماعي، فمن الناذر جدا أو مـــن غير العادي أن تكون الفوقارة ملكا لشخص واحد، فكل واحدة منها تنتمي لمجموعة من الملاك، هذا النمط من الملكية المشتركـــة يطرح مشكلة توزيع المياه، على اعتبار أن عملية التوزيع من الأصالـــة والتفرد مثلها مثل مسار جلب المياه في حد ذاتها.

وعلى العموم فإن العمليـــة تجري حسب المشهد التالي .... قبل أي تقسيم للمياه، أي في بعض الأحيان، قبل نهايـــة أعمال التنقيب، فإن كل الأفراد الذي ساهموا في إقامة الفوقارة سواء بجهدهم أو بأموالهم، يقومون بتقسيم أولي يعتبر نظريا بحتـــا.

تم يتم بعد ذلك تحديد لكل فرد معينة تسمى "قسمـــة" كل قسمة تنقسم إلى "معاجـــن" التي تنقسم بدورهـــا إلى وحدات صغيرة لها مسميات بحسب كل منطقة "حبـــة سريرة" أو "كيرا سريرا" بمنطقة توات، كل فوقارة مهما كان منسوبها، تقسم مبدئيا إلى 24 "حبة سريرة".

يدون هـــذا التقسيم في وثيقة خاصة تدعى سجل الفوقارة أو زمام الفوقارة، الذي يتضمن أساسا للقائمة الإسميـــة لملاك المـــاء، مع الإحالة على حصة كل واحد، وهي القائمـــة التي يتم تحيينها بتغيير ملاك من خلال الشهود الذين يحسنون القراءة والكتابـــة.

ويتطلب تقسيم المياه عمليات تساوي القاعدة الثلاثيـــة غير المعروفـــة تماما لدى سكان الواحات الذين يتوجب عليهم ولأجل الوصول للنتائج، استعمـــال مناهج جد معقدة حيث أنـــه وفي مناطق القصور، يوجد هنالك شخص واحد بمقدوره القيام بالحسابات الدقيقة، ففي الواحات الكبرى مثل تيميمون هنالك ثلاثة أو أربعة أشخاص يطلق عليهم تسمية حساب أو أمين، رجل الثقة وهي مهمة ثقيلـــة يورثها المسؤولون لأبنائهم.

ونلاحظ بأنـــه في هذه المنطقة أين تتشكل المياه قاعدة لكل ملكية، برع سكان القصور في إقامـــة حالة مدنية حقيقية للملكية، تعد مؤسســـة لنظام عقاري عالم متطور، يعود إلى ماض بعيدا جدا.

كل وحدة أو تقسيم يرافق بتسجيل في سجل أو عـــدة سجلات خاصة بالتقسيمات، شراء أو بيع المياه.

وبعد تحديد حصة كل فرد نهايـــة إنشاء الفوقارة، يبدأ تقسيم المنسوب المحصل عليه، وهنا تبرز خصوصية الطرق المحلية، ففي وقت تنتشر فيه عملية التقسيم القائمة على الوقت "نوبـــة" في كل واحات الصحراء الجزائرية، فإن سكان توات قورارة وتديكلت، تبنوا تقسيم قائم على "الحجم"

[1]Nadir Maarouf: L'eau la terr, les homes passée et present des oasis occidentales Lharmattan 2010, pp 33-34.

فالعمليـــة الأولى هي قياس منسوب الفوقارة، بحيث أنها تتم ليس فقط خلال الإنشـــاء الأولى للفوقارة، ولكن عندما يتغير المنسوب الأولي سواء انخفض بفعل انهيارات في الاروقـــة أو عكس ذلك ارتفع بفعل أشغـــال الترميم أو التوسيع.

وتدار هذه العمليـــة من قبل مختص يدعى "كيـــال المـــاء" يقيس المياه يعين من طرف جماعـــة القصر اعتبار المعارف ونزاهـــة وتنتقل هذه المسؤوليـــة من الأب إلى الإبن رغم أنها في الغالب تستند لأشخاص دون النظر لطبقاتهم أو طوائفهم، بل أنها تكتسب خطوة كبيرة، حتى أن كيال المـــاء هو ليس فقط خبيرا في الري، ولكن أيضا شبه قانوني تتم استشارتـــه حول الحالات الصعبة أو عندما تكون هنالك احتجاجات.

وتسمى أداة القياس "الشقفـــة" بتديكلت أو "الحلافـــة" أو تسمى بالكيال الأصغر وهي عبارة عن قطعة نحاسية مغطاة بالسيلان بتديكلت ومستطيلـــة و؟؟؟ بتوات بها ثقب كصف بمختلف الأقطار تطابق وحدة المنسوب وهناك أصناف فرعية لهذه الوحدة.

ونجد أن الوحدة المستعملة عموما هي "الحبـــة" أو تحديدا "الحبـــة الكبيرة" لا تتناسب في المتوسط مع المنسوب المتدفق من فتحة تساوي 01 سم إلى 1/2 سم من القطر، في حين أن ارتفاع الحمولة محدد بواسطة مسارا الشقفة، كما أن قيمة الحبـــة يتنوع حسب المناطق بين 03 و 3,5 لتر في الدقيقـــة.

وتحمل الشقفـــة في جزئهـــا العلوي سلسلة عمودية لنقاط مصمغة موجهة لتكون معلما لملاحظة توازن منسوب الساقيـــة، وهي أيضـــا مزودة بأعمدة خشبيـــة تسمح بتثبيتها كحاجز على حواف الساقية وحمل المنسوب، يتم إقامـــة الشقفـــة على حواف الساقيـــة التي تتلقى حياة الفوقارة بكيفيـــة تسمح بجريان كل المياه عبر فتحة الأداة على اعتبار أن السياقـــة مسدودة كليـــا.

المراجع:

أ- بالعربيـــــة:

06- مصطفى مرضي المجتمع الريفي، انسانيـــات: المجلـــة الجزائريـــة في الأنثروبولوجية الاجتماعيـــة والثقافيـــة، الجزائر، عدد 07 جانفي 1999.

07-أحمد مجدي حجـــازي: الفلاح المصري بين التمرد والاستكانـــة، تحليل سوسيولوجي لحركة الفلاحين في مصرـــ الدار المصريـــة السعوديـــة للطباعة والتوزيع، القاهـــرة، 2005، ص 52.

ب-بالأجنبيـــــة:

- Conrad kottak: anthropology- the human diversity M C GRA WHILL éditions- 15 éditions New York 2012.
- Nadir Maarouf: L'eau la terr, les homes passée et present des oasis occidentales Lharmattan 2010.
- Jean Paul collyn: éléments d'anthropologie social et culturelle 6éméedition- editions de l'université de Bruxelles Belgique 1998
- Ali el Kenz: des événements dans l'histoire- chronigues 2008-2010 éditions Dahleb- Algeria 2010.
Guillaume lara voire: les clés de l'économie: 2éme éditions- le genie des glaciers paris 2007-